التكافؤ في الزواج

مترجمة عن الانجليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

كانت الساعة الثالثة بعد الظهر ولم يبق إلا دقائق على الموعد عند ما التفتت « مونا » من نافذة المشرب الذى هى جالسة فيه وهو فى البناء المواجه لدار البرلمان وهى تنتظر مجىء « روى »

وكانت « مونا » مخطوبة « لروى » منذ ستة أشهر وكان الحب متبادلا بينهما . لكن الخطبة لم تعلن بعد ولم يوافق عليها أهلها إلى الآن . وكان لابد للفتاة من إثارة حرب شعواء بدارها قبل أن يوافقوا على هذه الخطبة . ولقد نشبت الواقع الأولى ولكن على غير طائل .

وجاء روى فى موعده ودار الحديث فقال : « من العبث أن نتجادل فانى مع اعتقادى بأنك أنت الفتاة التى خلقت لى فانى أرى كلاً منا ينتسب إلى دنيا غير التى ينتسب إليها الآخر »

قالت مونا : « لست أفهم ما تعنيه » فقال : إننى رجل فقير أشتغل كاتباً فى مصرف ولا يزيد إيرادى على مائة جنيه فى العام ، وأنت بنت عضو فى البرلمان ينفق مثل هذا المبلغ فى أقل من أسبوع ، وأنت تلبسين من أغلى الثياب وتقيمين فى شارع « بوندستريت » ، وأنا ألبس من أرخصها وأقيم فى « شارع ستراند » ، وأنت تسافرين فى السيارة إلى أبعد المسافات وأنا قد أمشى أحياناً لأنى لا أملك أجرة الترام

قالت مونا : « إننى أكره الكلام بهذه اللهجة فانك بها تحاول إفهامى أنى مغرورة بالغنى » فقال : « إنك لست بالغنى مغترة . ولو كنت كذلك لما قبلت الزواج منى . ولكن الواقع أن الأسابيع القليلة الماضية دلت على أن عهد خطبتنا لن يدوم »

قالت : « إننى أفضل عدم المناقشة فى هذا الموضوع . وقد وعدت أبى بلقائه الليلة فى المجلس وقد آن الموعد وسأقنعه بكل رأيى

قالت ذلك ولكنها لم تتحرك من مكانها ولم يتحرك روى كذلك . وبقى كلاهما صامتاً مدة من الزمن . وكان هذا الموضوع أهم من أن يهملاه أو أن يحسما فيه برأى دون تروٍ . وكانت مونا تشعر فى أعماق نفسها بأن فيما يقوله روى شيئاً كثيراً من الصدق

ومونا هذه هى وحيدة السير فيليب مانرز ولم تعرف قط مامعنى الاحتياج إلى شىء من الأشياء وكانت دائماً مالكة حريتها التامة فى قصر أبيها فى ويمبلدون . وكان من عاداتها أن تسوق عربتها بنفسها وتبتاع من الثياب والمعاطف مايجزع عند المطالبة بثمنه كل الآباء ، ولكن السير فيليب كان وافر الغنى وكان لايضن على ابنته بشىء . . .

وكان روى من هواة التمثيل وهو يشغل أوقات فراغه بتأليف روايات المسرح وتمثيلها مع جماعة من أصحابه الهواة . وفى يوم من الأيام احتاج الى سيدة لتمثل دور الأميرة فوقع الاختيار على مونا لأنها بطبيعتها تمثل هذا الدور فى غيرما تكلف وقبلت مونا ذلك أولا لأنها تحب التمثيل ، وثانياً لأن هذه فرصة سانحة لشراء ثياب جديدة . ولما كان

روى من أبعد الناس عن التأنق فى الثياب فانه مثل دور سائق سيارة للأميرة .

وكانت الرواية تجعل هذه الأميرة تتدلله بحب هذا السائق، فلم تكتف مونا بحبه على المسرح فقط بل أحبته فى الحياة الحقيقية، فأحبها روى كذلك، وتبادلا العهود والمواثيق وشعر كل منهما بأنه لايستطيع الحياة دون الآخر . وكانا يتقابلان دائماً ويقرآن كتباً متوافقة ويفكران تفكيراً مشتركا ويستنشقان نسيماً واحداً . وفى الحفلات الراقصة يرقصان معاً . ومايكاد يمضى يوم واحد لايتقابلان فيه

ولما ذهب روي إلى السير فيليب ليعرض عليه تزويجه من ابنته تلقاه بالضحك والبشاشة لأن عهد الكبرياء والفطرسة فى حياة هذا النائب قد انقضى منذ سنين .

قدم اليه النائب لفافة تبغ وقال : « إننى لا أعجب من حبك لمونا فهي جميلة ، ولكنى بغض النظر عن موافقتى أو عدم موافقتى باعتبارى أباً فلا أشير عليك إذا عددتنى صديقاً بأن تتزوج منها، فان الزوج الذى يستريح الى حياته معها هو الذى ينفق عليها أربعة أو خمسة آلاف جنيه فى العام .

هبط قلب روى « بنطين أو ثلاثة » على حد تعبير سماسرة البورصة وأدرك أن السير فيليب لم يقل إلا الحقيقة، ولكنه أجاب : « إن مونا تعرف أنى فقير ولكنها لم تعر هذه المسألة شيئاً من الالتفات »

فقال النائب : إن مونا كالأوزة، فهي لاتعرف معنى الافتقار الى المال، وهى لاتعرف كيف تطبخ الحساء وأرى أن الزوج الذى يناسبها هو الذى يستطيع أن يجعلها تعيش على نفس النظام الذي اعتادته قبل الزواج . والحقيقة ياصديقى روى أن مونا بلهاء وإنك على مايظهر لست أفضل منها »

اختضب وجه روى احمراراً، ولكن ذلك لم يكن لاستيائه من أن يخاطب بلفظ أبله بل لأنه لم يكن يتوقع أن يتكلم أحد عن مونا بمثل هذا اللسان

وخرج روى من عنده وهو يائس، ولكن مونا نفسها أنقذت الموقف، فقد قالت لأمها وتلك أبلغت السير فيليب أنها راغبة فى الزواج من روى وأنها هى التى اختارته، وأن أباها إذا اعترض على ذلك فانها لن تصفح عنه ، فغير السير فيليب خطته وقال لابنته : « إذا كانت سعادتك مرتبطة بحظ هذا الشاب فانى وأمك نكف عن معارضتنا، فاننا نريد أن تكونى سعيدة . ولك الحق فى أن تختارى لنفسك ، ولكنى أريد أمراً واحداً إذا وعدتنى به تركت المعارضة، وهو أن يمتنع الكلام بتاتاً عن أمر الزواج مدة عام وفى العام المقبل تتزوجين »

وكان فى لهجة النائب رنة لم تستطع الفتاة فهمها، فقطعت على نفسها العهد الذى طلبه . ولم تكن مونا متعجلة بالزواج اكتفاء بأنها مخطوبة خطبة علنية لروى وأنها تذهب معه إلى كل مكان مبكرة أو متأخرة وهى تعد شريكته فى كل مجتمع

ولما اجتمع السير فيليب وزوجته لأول مرة بعد ذلك أشعل السير سيجارة وقال وهو يراقب دخانها : « لو أننا عارضنا هذين الأبلهين فانهما يظنان نفسيهما من الشهداء . ومن المحتمل أن يتزوجا على الرغم منا . ولذلك وجب علينا أن نأخذهما بالحيلة وأنا واثق من أن كلا منهما سيمل من الآخر قبل انقضاء ستة أشهر . إن مونا لاتحب إلا الأشياء الغالية الثمينة وهذا الخاطب الفقير لايستطيع أن يبقى

بمطالبها . ولذلك انتظر أن يتشاجرا فى أقرب الأوقات »

لم تجبه زوجته ووضعت مروحتها بين وجهها وبين المصباح : إما لكى تستر مايبدو على عينيها من الملائم ، وإما لكى تحمى عينيها من الضوء

وكانت تقول في نفسها : «هل يجوز للمتقدمين فى السن استخدام تجاربهم بمثل هذه الوسيلة ؟ لكنه ربما كان فيليب محقاً وربما تشاجرت مونا وروى . ولكنى أفضل أن ترسو سفينتهما عند الشاطىء فى أمان فان من الخطر بقاءها فى وسط البحر مدة طويلة .

ومرت الأيام واتضح أن رأى السير فيليب كان رأياً سديداً

جلست مونا وروى أمام المنضدة التى يتناولان عليها الشاى وكلاهما يتجنب النظر إلى وجه الآخر . ولكن هذا التجنب كان خطأ منهما فلو أنه نظر إليها لأدرك أن الدموع تتجمع فى عينيها بالرغم من دلالة صوتها على الغضب . ولو أنها نظرت اليه لرأت رغم غيرته وقلقه أنه لايزال يحبها ، ولا يزال هذا الحب مالكا كل قلبه

لكن المصاعب التى وجدت أمامهما كانت أشد مما يتوقعان ، فاذا ماذهبا إلى المسرح لم تسترح مونا إلى العربة لأنها اعتادت ركوب السيارات الفخمة ، ولم يسترح كذلك روى لأنه يفضل السير على قدميه أو ركوب « الاتوبيس » . وكانت مونا تحب الملاهى وتعدها أهم شاغل لها فى الحياة فهى المدرسة الوحيدة التى تتعلم فيها ؛ أما روى فانه يعد الملاهى تسلية مؤقتة للتخفيف من أعباء العمل اليومي

وكانت هناك علة أخرى للمتاعب هى شعور روى بالغيرة . ولم يكن هذا الشعور خالياً من المبررات فان مونا كانت تدعى دائما أن لها حرية التصرف فى كل شىء . وكانت تقول : « ليس معنى خطبتنا أن نهجر كل أصدقائنا القدماء . وفضلا عن ذلك فان هانسون يختلف عن غيره وقد كان يعرفنى من عهد الطفولة »

وكان « هانسون ميدواى » أكبر من روى بعشر سنوات وهو من أغنى التجار ، ولا حد لاستعداده فى تبذير الأموال وهو يقدم لمونا من الهدايا مالايس يملك ثمنه روى ، وكان يهزأ بفقر صاحبه هذا

كانت صداقتها له امتحانا مؤلماً لروى ولكنه لم يكن يجد سبباً حقيقياً للشكوى لأن مونا لا تمتاز بشىء فى العالم مثل اعتزازها بالصدق والأمانة . وكانت تقول له : « يجب ألا تهتم بشىء فان هانسون ليس له مكانة فى قلبي ولكنى أسر من الخروج معه لمجرد اللهو والتسلية .

ولكن روى كان شديد التذمر فلما ألح فى مراجعتها قالت : « إذا أردت فسخ الخطبة فان الأمر كله فى يدك »

ولم تكن تعني ما تقول ولكنها أرادت إطعامه طعاماً مهيناً فلم يستطع تناوله وامتنعت شهوته للطعام وقال بلهجة تدل على الغضب أكثر من دلالتها على الود : « إننى لا أريد أن أفسخ الخطبة ولكنى أريد أن أتزوج منك ، غير أن السعادة لا يمكن أن تكون على هذا المنوال »

قالت : « ماذا تريد أن أفعل ؟ أأجلس على المقاعد الخشبية فى أعلى المسرح لكى أقنعك بأنى أميل إليك ؟ »

فسكت روي وقالت : « إذا لم يكن لديك مال تستطيع إنفاقه فهذه ليست غلطتي فان غيرك يستطيع بسهولة أن يحصل على ثروة »

كان هذا الجواب قاسياً ولكنه لم يستثر روى فأجابها بهدوء : « إن بعض الناس يحصلون على الثروة بسهولة ولكنني لست واحداً منهم؛ والأفضل يامونا أن نفترق مدة عام ليفكر كلانا فى الأمر بروية »

فقالت : « كما تشاء »

وكان جوابها بغير تردد ، ولو أنها شعرت بأن حرارة قلبها تهبط إلى درجة الصفر . وقال : « إننى أعرف على أية حال ستكون مشاعرى عند انتهاء هذا العام، فانى سأظل راغباً فى الزواج منك، ولكن ربما استطعت أن أحصل على شيء من المال فتكون حياتنا أقرب إلى السعادة منها الآن »

ثم أطرق، ولو أنه استطاع قراءة أفكارها فى هذا الحين لوجد أنها تريد أن تقول : « لا حاجة إلى الافتراق يا روى فانى لا أريد أن أكون قاسية »

لكن الكلمات التالية جعلت التوفيق مستحيلا إذ قال : « إذا كنت لاتزالين تميلين إلىّ فربما كانت فتنة هانسون ميدواى غير قابلة للمقاومة »

فأخذت الفتاة قفازيها وقامت وهى تقول : « أريد مقابلة أبى الآن، فاذا سمحت فانى أريد أن أدفع لنفسى ثمن الشاى »

فقال وقد احمر وجهه : « لا أظنك تريدين أن تفعلى شيئاً كهذا . ألا تريدين مقابلتى مرة أخرى »

فأجابته : « نعم بعد عام من الغد » فتبين طول المسافة وقال : « ألا يكفى ثلاثة أشهر ؟ »

قالت : « كلا فأنت اقترحت جعل المدة عاماً وهذه فكرة صائبة . لا تنس هذا الموعد فسأنتظرك فى هذا المشرب على هذه المنضدة فى الساعة الرابعة من يوم ٢٣ ابريل من العام المقبل فاذا لم تأت فانى أعرف ما ذا تعنيه بتخلفك »

ثم أحنت رأسها أمامه بشكل كتمت فيه عواطفها وجرحت عواطفه وقالت : « وداعاً بالنسبة للحاضر »

ولقد يظن القارئ أن مدة عام لا تحدث أى تغيير ...

— ٢ —

فى شهر ابريل التالى كان روى جالساً فى الفندق عند شاطئ البحر والأمواج الهائجة تتحطم على الصخور تحت نوافذ هذا الفندق، وجاء الخادم يستأذنه فى احضار الشاى فأمره باحضاره وسأله هل وردت باسمه خطابات ! »

فأجاب بأن له خطاباً فى غرفته ثم ذهب ليأتي به وعاد ، فلما وقع نظر روى عليه عرته رعشة لأن عنوانه بخط مونا وكانت هذه أول مرة رأي فيها خطها منذ عام .

ولقد حدث فى هذا العام من الحوادث فوق ماكان ينتظره حين اقترح هذا الاقتراح بمشرب الشاى أمام البرلمان .

على أثر المقابلة الأخيرة نُقل روى إلى فرع جديد صغير أنشيء للبنك فى بعض النواحى . وكان عدد زملائه فى هذا الفرع قليلاً . وفى أحد الأيام صادف أن وجد روى وحيداً فى ذلك المكان فدخل عليه رجلان مقنعان يحمل أحدهما مسدساً .

ولقد أراد واضعو الروايات السينمائية أن يجعلوا من يقع فى مثل هذه الحالة من التهديد يرفع يديه مستسلماً لأن أكثرنا يفعل ذلك فى مثل هذه الحالة .

ولكن ذلك كان مستحيلا بالنسبة لروى فانه لم يظهر شيئاً من الانزعاج بل نظر الى ماوراء الذى يهدده وقال : « قيد يديه ياضابط البوليس . أسرع باعتقاله »

فالتفت المعتدى إلى الوراء ، وفى أقل من لمح البصر ضربه روى على ظهر رأسه بقبضة المنشفة التى على مكتبه فلاذ زميله بالفرار وتبعه الآخر ، فطارده روى وتمكن من القبض عليهما ودلا على سائر أفراد العصابة .

وكافأ المصرف روى على « ذكائه وحضور ذهنه » بجعله رئيساً آخر وبزيادة راتبه مائة جنيه. ولكن روى بدلا من أن يشكر رئيسه على ذلك ويذهب أظهر عدم اهتمامه . وكان موجوداً بجانب الرئيس صديق له من تجار الماس فاستأذن الرئيس وعرض على روى أن يخدم لديه براتب قدره ٧٠٠٠ جنيه فى العام . وقال إن المهمة التى يراد من أجلها تستدعى سفره الى أمريكا بالجواهر وأن حياته قد تتعرض للخطر فى بعض الاسفار . وقال رئيس المصرف لروى إنه لاينصح له بقبول هذه الخدمة . ولكن روى قبلها بغير تردد . وفى الاسبوع التالى كان فى الطريق الى أمريكا .

ولما انتهت مهمته فى الولايات المتحدة تلقى برقية بالذهاب إلى جنوب أمريكا . وما كاد ينتهى إليها حتى أرسل إلى جزر المحيط الهادى . وها هو ذا الآن يعود إلى انكلترا وقد زيد أجره إلى ألف جنيه فى العام مع إنه لم يمض عليه غير عام واحد .

وجلس روى ناظراً إلى البحر وفى يده خطاب مونا . وكانت الأسفار الطويلة قد شحذت من عزيمته وقوت إرادته واكتسب صوته لهجة الآمر وفقد تلك اللهجة الضعيفة التى أفادها وهو كاتب .

وبعد أن فض الغلاف وجد نص الرسالة :

« عزيزى روى

لقد سررت عندما علمت بخبر عودتك، ولكن الموعد الذى اتفقنا عليه منذ عام يصح ألا ينظر إليه نظرة جدية ؛ فان أصررت فانى سأحافظ عليه وإن كنت أفضل العكس. وإننى أتمنى لك كل خير

المخلصة : مونا

تأوه روى تأوه الألم، وكان فى حياته الماضية قد اعتاد مقابلة الآلام منتظرة أو غير منتظرة فلم يجد مفاجأة أشد على نفسه من هذا الخطاب . وقد كان وفياً لمونا بالقول وبالفعل منذ افترقا، وكان يعتقد أنها أيضاً وفية له. وها هى ذى لهجة خطابها تدل على السأم، فهى بلا شك استعاضت عنه برجل آخر . ولكن هل فى ذلك ما يدعو إلى الدهشة ؟ إن العالم قد تقدم وصار فى الامكان أن ينسى المرء من يحبه وأن يحب سواه بأسرع مما يستطيع وضع حذاء ونزع حذاء .

وجلس إلى المائدة فكتب :

« عزيزتى مونا :

إننى آسف على انتهاء قصتنا على هذا الشكل ، ولكنى لا ألومك فلك مطلق الحرية . وأتمنى لك حسن الحظ

المخلص : روى

— ٣ —

لم يكتف بكتابة الخطاب وإرساله على هذا الشكل . ولكنه عزم على أن يبتعد عن المدينة فى يوم ٢٣ إبريل حتى لا تضعف إرادته فيذهب فى الموعد . ولما كان اليوم تو يباً فقد حصل من رئيسه

على أجازة قدرها أسبوعان . وذهب إلى الريف محاولا نسيان المدينة ومن فيها

وفى يوم ٢٣ ابريل وصلت إليه برقية يدعوه فيها رئيسه إلى الحضور لأمر هام فسافر إلى لوندرا ووجد رئيسه فى انتظاره بالمحطة . ومشى معه الرئيس فى الطريق قائلاً إنه يريد مخاطبته فى شأن هام . ولم يزل يسير به حتى وصلا إلى نفس المشرب المعهود أمام البرلمان . وكانت الساعة الثالثة إذ ذاك، وهذه مصادفة من المصادفات التى تقع فى الحياة الحقيقية أكثر من وقوعها فى القصص .

جلس روى فى هذا الفندق وهو يقول إنه لا ضرر فى ذلك فان مونا لن تأتى . ولكنه مع تأكيده لنفسه بأنها لن تأتى فقد كان فى أعماق قلبه يتمنى مجيئها . وكان يتمنى لو يمكن التوفيق لأنه فقدها بسبب الغيرة . ولم يكن بينها وبينه منازعات . وكان يتساءل : أى الناس هو الذى حببته قلبها بعد روى ؟ هل هو هانسون ميدواى ؟

وعندما خطر اسمه بباله قطب حاجبيه وداعبه الشعور بالغيرة مرة أخرى . ولم يمطه جليسه السير جون فرصة طويلة للتفكير فانه كان فى هذه الأثناء يعرض له المشروع الجديد وهو أن يحل محله فى إدارة العمل بلوندرا لأنه سيسافر إلى الخارج رعاية لصحة زوجته ، وقد تكون إقامته فى الخارج دائمة . ثم أخرج السير جون ساعته فجأة وقال إنه سيغيب الآن قليلا لاضطراره إلى مقابلة وزير المستعمرات .

ومشى تاركا روى وحده على نفس المنضدة . وكان قد بقى شىء قليل على حلول الساعة الرابعة فدق الجرس ليدفع الحساب . وجاءت خادمة المشرب والتفت اليها روى فاذا هى مونا . . .

وهكذا تقابلا فى نفس الموعد ولكن عن غير قصد .

قال : « مونا ! ماذا حدث فى العالم حتى أصبحت خادمة مشرب ؟ »

فقالت : « أشكر لك المجىء فى موعدك . ولقد قدمت لك ولصديقك الشاى منذ ساعة ، وكنت أظن أنك ستنصرف دون أن تعرفنى »

وأراد أن يلقى عليها السؤال مرة أخرى لتجيبه عن سبب مجيئها إلى هنا ، فدخل « زبون » آخر واضطر روى إلى الصمت على أمل أن تعود الفتاة اليه

ولكنه تبين أنها لاتريد أن تعود وأنها خادمة حقاً فى هذا المكان . وصمم على معرفة الحقيقة فذهب إلى أمين الخزانة ودفع النقود وسأل متى يغلق المشرب فقيل له فى الساعة السابعة .

وخرج فجلس فى مكان آخر يراقب منه الباب وهو يقول إن مونا ستكون لى الآن أولا تكون لى أبد الدهر .

وأخيراً أغلق الباب وخرج بعض الخادمات . ولكن مونا لم تخرج فقال فى نفسه وهو يبتسم : لعلها تأخرت توقعاً منها أن أكون فى انتظارها »

ثم خرجت فقابلها وقال : « لابد لى من التحدث معك يامونا فما معنى هذا ؟ »

فنظرت اليه طويلا وقالت : « ليس عندى ما أقوله . لقد كتبت لك بأنى أفضل عدم مجيئك

ولكن لا أعرف ماذا جعلك تأتى »

وأصر على أن تروى له قصتها فقالت إن أباها أفلس وترك مجلس النواب لان هانسون كان نصاباً وجره إلى خسائر مالية نشأ عنها الافلاس ثم تركه .

وكان روى يصغى وهو متأثر ثم قال : هل أنت مخطوبة يامونا ؟ »

فقالت : « لا »

قال : « إذن فلنبدأ عهدنا من جديد »

فقالت : « كلا ! لقد طلبت اليك عدم المجىء حتى لاتستثير الذكريات المؤلمة . وانني لمسرورة من مركزى الحاضر وان كان الأجر فيه قليلا »

فلم يتمالك نفسه من الابتسام لأن مونا المتأنقة المرفهة ليست هى التى تعيش معيشة الخادمة مسرورة راضية وقال : « كل ما فات فقد مات . وسنتزوج بأسرع ما تستطيعين فأين تحبين أن نسكن ؟ لقد أصبحت الآن فى حالة حسنة

قالت : « مستحيل يا روى فانى لما كنت غنية وكنت أنت لا تملك شيئاً بلغ من حماقتى أننى ...

ثم سكتت وأذرفت من عينيها الدموع

وبدأت السماء تمطر، ثم اشتد المطر على حين فجأة فاستدعى سيارة وطلب إليها أن تركب فقالت : « إلى أين ؟ أنت لا تعرف أين أقيم »

وركبت وأسرعت السيارة فقال رداً على سؤالها: «ليس هذا مهماً فقد أمرت السائق بأن يستمر دون أن يقف حتى أحصل منك على وعد بالزواج »

عبد اللطيف النشار

الطـــــائرة

اسرع وألطف وسيلة للسفر من مصر إلي العراق وبالعـــكس

عن طريق فلســـــطين

سافروا بالسلامة على طائرات

شركة مصر للطـــيران

خصم ١٠ ٪ على تذكرة الاياب دائما

الاستعلامات وحجز التذاكر من أي مكتب سياحة أو من مركز الشركة بألمانظة